تفسير سورة المجادلة

هى ثنتان وعشرون آية ، وهى مدنية . قال القرطبى : فى قول الجميع ، إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدنى، وباقيها مكى [١] . وقال الكلبى : نزلت جميعها بالمدينة غير قوله : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ نزلت بمكة . وأخرج ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة المجادلة بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن الزبير مثله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)** ﴾

قوله : ﴿ **قد سمع الله** ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بإدغام الدال فى السين ، وقرأ الباقون بالإظهار . قال الكسائى : من بينّ الدال عند السين فلسانه أعجمى وليس بعربىّ ﴿ **قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ أى تراجعك الكلام فى شأنه ﴿ **وتشتكى إلى الله** ﴾ معطوف على تجادلك ، والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله أنه كان كلما قال لها : « قد حرمت عليه » ، قالت: والله ما ذكر طلاقاً ثم تقول : أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى ، وإن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم إنى أشكو إليك فهذا معنى قوله : ﴿ **وتشتكى إلى الله** ﴾ قال الواحدى : قال المفسرون: نزلت هذه الآية فى خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم [٢] فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ، ثم ندم على ذلك ، وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية . وقيل : هى خولة بنت حكيم ، وقيل : اسمها جميلة ، والأول أصح . وقيل : هى بنت خويلد ، وقال الماوردى : إنها نسبت تارة إلى أبيها ، وتارة إلى جدها وأحدهما أبوها ، والآخر جدها ، فهى

(١) القرطبى ٩/ ٦٤٣٩ .

(٢) اللمم : طرف من جنون يلم الإنسان .

خولة بنت ثعلبة بن خويلد ، وجملة : ﴿ **والله يسمع تحاوركما** ﴾ فى محل نصب على الحال، أو مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبلها ، أى والله يعلم تراجعكما فى الكلام ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾ يسمع كل مسموع ، ويبصر كل مبصر ، ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة .

ثم بين سبحانه شأن الظهار فى نفسه وذكر حكمه فقال : ﴿ **الذين يظهرون منكم من نسائهم** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿**يظهرون** ﴾ بالتشديد مع فتح حرف المضارعة ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى : « يظاهرون » بفتح الياء وتشديد الظاء وزيادة ألف ، وقرأ أبو العالية وعاصم وزر بن حبيش : « يتظاهرون » بفك الإدغام ، ومعنى الظهار : أن يقول لامرأته : أنت على كظهر أمى، ولا خلاف فى كون هذا ظهارا .

واختلفوا إذا قال: أنت على كظهر ابنتى أو أختى أو غير ذلك من ذوات الأرحام، فذهب جماعة منهم أبو حنيفة ومالك إلى أنه ظهار، وبه قال الحسن والنخعى والزهرى والأوزاعى والثورى. وقال جماعة منهم قتادة والشعبى: إنه لا يكون ظهارا، بل يختص الظهار بالأم وحدها. واختلفت الرواية عن الشافعى، فروى عنه كالقول الأول، وروى عنه كالقول الثانى. وأصل الظهار مشتق من الظهر. واختلفوا إذا قال لامرأته : أنت على كرأس أمى أويدها أورجلها أو نحو ذلك؟ هل يكون ظهارا أم لا ؟ وهكذا إذا قال: أنت على كأمى ولم يذكر الظهر، والظاهر أنه إذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا . وروى عن أبى حنيفة أنه إذا شبهها بعضو من أمه يحل له النظر إليه لم يكن ظهارا. وروى عن الشافعى أنه لا يكون الظهار إلا فى الظهر وحده واختلفوا إذا شبه امرأته بأجنبية، فقيل: يكون ظهارا. وقيل: لا، والكلام فى هذا مبسوط فى كتب الفروع .

وجملة :﴿ **ما هن أمهاتهم** ﴾ فى محل رفع على أنها خبر الموصول ، أى ما نساؤهم بأمهاتهم ، فذلك كذب منهم . وفى هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم ، قرأ الجمهور : «أمهاتهم » على اللغة الحجازية فى إعمال « ما » عمل ليس . وقرأ أبو عمرو والسلمى بالرفع على عدم الإعمال ، وهى لغة نجد وبنى أسد ، ثم بين سبحانه لهم أمهاتهم على الحقيقة فقال : ﴿**إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم** ﴾ أى ما أمهاتهم إلا النساء اللائى ولدنهم ثم زاد سبحانه فى توبيخهم وتقريعهم فقال : ﴿ **وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا** ﴾ أى وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرا من القول ، أى فظيعا من القول ينكره الشرع ، والزور : الكذب ، وانتصاب ﴿**منكرا**﴾ و﴿ **زورا** ﴾ على أنهما صفة لمصدر محذوف ، أى قولا منكرا وزورا ﴿ **وإن الله لعفو غفور** ﴾ أى بليغ العفو والمغفرة، إذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا القول المنكر .

﴿ **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا** ﴾ لما ذكر سبحانه الظهار إجمالا ووبخ فاعليه، شرع فى تفصيل أحكامه ، والمعنى : والذين يقولون ذلك القول المنكر الزور ، ثم يعودون لما قالوا ، أى إلى ما قالوا بالتدارك والتلافى كما فى قوله : ﴿ **أن تعودوا لمثله** ﴾

[النور: ١٧] قال الأخفش : ﴿ **لما قالوا** ﴾ وإلى ما قالوا ، يتعاقبان. قال : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] وقال : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات : ٢٣] ﴿ بأن ربك أوحى لها﴾ [الزلزلة : ٥] وقال :﴿ وأوحى إلى نوح ﴾ [هود : ٣٦] وقال الفراء : اللام بمعنى عن ، والمعنى : ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء . وقال الزجاج: المعنى : ثم يعودون إلى إرادة الجماع من أجل ما قالوا . قال الأخفش أيضا : الآية فيها تقديم وتأخير والمعنى : والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع ﴿**فتحرير رقبة**﴾ لما قالوا ، أى فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا ، فالجار فى قوله : ﴿ **لما قالوا**﴾ متعلق بالمحذوف الذى هو خبر المبتدأ وهو فعليهم .

واختلف أهل العلم فى تفسير العود المذكور على أقوال : الأول : أنه العزم على الوطء ، وبه قال العراقيون أبو حنيفة وأصحابه ، وروى عن مالك . وقيل : هو الوطء نفسه وبه قال الحسن ، وروى أيضا عن مالك . وقيل: هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق، وبه قال الشافعى . وقيل : هو الكفارة ، والمعنى : أنه لايستبيح وطأها إلا بكفارة ، وبه قال الليث بن سعد ، وروى عن أبى حنيفة . وقيل : هو تكرير الظهار بلفظه ، وبه قال أهل الظاهر ، وروى عن بكير بن الأشج وأبى العالية والفراء ، والمعنى : ثم يعودون إلى قول ما قالوا.

والموصول مبتدأ وخَبره : ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ على تقدير فعليهم تحرير رقبة كما تقدم ، أو فالواجب عليهم إعتاق رقبة ، يقال : حررته ، أى جعلته حرا ، والظاهر أنها تجزئ أى رقبة كانت . وقيل : يشترط أن تكون مؤمنة كالرقبة فى كفارة القتل ، وبالأول : قال أبو حنيفة وأصحابه ، وبالثانى : قال مالك والشافعى ، واشترطا أيضا سلامتها من كل عيب ﴿ **من قبل أن يتماسا** ﴾ المراد بالتماس هنا : الجماع ، وبه قال الجمهور، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر. وقيل : إن المراد به : الاستمتاع بالجماع ، أو اللمس ، أو النظر إلى الفرج بشهوة ، وبه قال مالك، وهو أحد قولى الشافعى ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلكم** ﴾ إلى الحكم المذكور ، وهو مبتدأ وخبره : ﴿**توعظون به** ﴾ أى تؤمرون به ، أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار، وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة . قال الزجاج : معنى الآية : ذلكم التغليظ فى الكفارة توعظون به، أى إن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ لا يخفى عليه شىء من أعمالكم فهو مجازيكم عليها .

ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال : ﴿ **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا**﴾ أى فمن لم يجد الرقبة فى ملكه ولا تمكن من قيمتها فعليه صيام شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيهما ، فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر ، وإن كان لعذر من سفر أو مرض قال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبى

والشافعى ومالك : إنه يبنى ولا يستأنف ، وقال أبو حنيفة : إنه يستأنف ، وهو مروى عن الشافعى ومعنى ﴿ **من قبل أن يتماسا** ﴾ : هو ما تقدم قريبا ، فلو وطئ ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ استأنف ، وبه قال أبو حنيفة ومالك ، وقال الشافعى : لا يستأنف إذا وطئ ليلا لأنه ليس محلا للصوم ، والأول أولى ﴿ **فمن لم يستطع** ﴾ يعنى : صيام شهرين متتابعين ﴿ **فإطعام ستين مسكينا** ﴾ أى فعليه أن يطعم ستين مسكينا ، لكل مسكين مدان ، وهما نصف صاع ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه ، وقال الشافعى وغيره : لكل مسكين مد واحد ، والظاهر من الآية أن يطعمهم حتى يشبعوا مرة واحدة ، أو يدفع إليهم ما يشبعهم ، ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة ، بل يجوز له أن يطعم بعض الستين فى يوم ، وبعضهم فى يوم آخر ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما تقدم ذكره من الأحكام وهو مبتدأ وخبره مقدر ، أى ذلك واقع ﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله** ﴾ ويجوز أن يكون اسم الإشارة فى محل نصب ، والتقدير : فعلنا ذلك لتؤمنوا ، أى لتصدقوا أن الله أمر به وشرعه ، أو لتطيعوا الله ورسوله فى الأوامر والنواهى ، وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها ولا تعودوا إلى الظهار الذى هو منكر من القول وزور ، والإشارة بقوله: ﴿ **وتلك** ﴾ إلى الأحكام المذكورة وهو مبتدأ ، وخبره: ﴿ **حدود الله** ﴾ فلا تجاوزوا حدوده التى حدها لكم ، فإنه قد بين لكم أن الظهار معصية ، وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة ﴿**وللكافرين** ﴾ الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حده الله لعباده ﴿**عذاب أليم**﴾ وهو عذاب جهنم ، وسماه كفرا تغليظا وتشديدا .

وقد أخرج ابن ماجة وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى عن عائشة قالت : تبارك الذى وسع سمعه كل شىء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ ، وهى تقول : يارسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى، حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليك ، قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ وهو أوس بن الصامت [1] . وأخرج النحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : كان أول من ظاهر فى الإسلام أوس ، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها : خولة بنت خويلد ، فظاهر منها فأسقط فى يده وقال : ما أراك إلا قد حرمت على ، فانطلقى إلى النبى ﷺ فاسأليه ، فأتت النبى ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فأخبرته ، فقال : « يا خولة ، ما أمرنا فى أمرك بشىء»، فأنزل الله على النبى ﷺ فقال : « يا خولة أبشرى » قالت : خيرا . قال : «خيرا »، فقرأ عليها : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ الآيات [2] . وأخرج أحمد وأبو داود وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه والبيهقى من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال : «حدثتنى خولة بنت ثعلبة قالت : فى والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله صدر

---

(١) ابن ماجة فى الطلاق (٢٠٦٣) وصححه الحاكم ٢/ ٤٨١ ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٧/ ٣٨٢ .

(٢) البيهقى ٧/ ٣٨٣ وقال ابن كثير ٦/ ٥٧٦ : « هذا إسناد جيد قوى ، وسياقه غريب » .

سورة المجادلة ، قالت : كنت عنده ، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه ، فدخل على يوما فراجعته بشيء فغضب فقال :أنت على كظهر أمى ، ثم رجع فجلس فى نادى قومه ساعة، ثم دخل على فإذا هو يريدنى عن نفسى، قلت : كلا والذى نفس خولة بيده لا تصل إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فما برحت حتى نزل القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرى عنه، فقال لى :« يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك » ، ثم قرأ على : ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك** ﴾ إلى قوله : ﴿ **عذاب أليم**﴾ فقال رسول الله ﷺ : « مريه فليعتق رقبة » ، قلت : يارسول الله ، ما عنده ما يعتق ، قال : « فليصم شهرين متتابعين» ، قلت : والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام ، قال : « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » ، قلت : والله ما ذاك عنده ، قال رسول الله ﷺ : « فأنا سأعينه بعرق من تمر » ، فقلت : وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، فقال : « قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا » ، قالت : ففعلت [١]. وفى الباب أحاديث .

وأخرج ابن المنذر ، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ثم يعودون لما قالوا** ﴾ قال : هو الرجل يقول لامرأته : أنت على كظهر أمى ، فإذا قال ذلك فليس يحل له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر بعتق رقبة ﴿ **فمن** ﴾ فإن ﴿ **لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا** ﴾ والمس : النكاح ﴿ **فمن** ﴾ فإن ﴿ **لم يستطع فإطعام ستين مسكينا**﴾ وإن هو قال لها : أنت على كظهر أمى إن فعلت كذا ؛ فليس يقع فى ذلك ظهار حتى يحنث ، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفر ، ولا يقع فى الظهار طلاق . وأخرج ابن المنذر عن أبى هريرة قال: ثلاث فيه مد : كفارة اليمين ، وكفارة الظهارة ، وكفارة الصيام . وأخرج البزار والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : أتى رجل النبى ﷺ فقال : إنى ظاهرت من امرأتى ، فرأيت خلخالها فى ضوء القمر ، فوقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال النبى ﷺ : « ألم يقل الله: ﴿**من قبل أن يتماسا** ﴾ قال : قد فعلت يا رسول الله . قال : « أمسك عنها حتى تكفر»[٢] . وأخرج عبد الرزاق وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم والبيهقى عن ابن عباس ؛ أن رجلا قال : يا رسول الله إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها من قبل أن أكفر ، فقال : « وما حملك على ذلك ؟ » قال : رأيت خلخالها فى ضوء القمر ، قال : «فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله » [٣] .

---

(١) أحمد ٦/ ٤١٠ ، ٤١١ وأبو داود فى الطلاق (٢٢١٤) والطبرانى (٦١٦) والبيهقى ٧/ ٣٨٩ .

(٢) الطبرانى (١٠٨٨٧) وصححه الحاكم ٢/ ٢٠٤ وقال : « حديث إسماعيل عن عمرو بن دينار ، ولم يحتج الشيخان بإسماعيل ولا بالحكم بن أبان إلا أن الحكم بن أبان صدوق » وقال الذهبى : « العوفى غير ثقة » . والبيهقى ٧/ ٣٨٦ .

(٣) عبد الرزاق (١١٥٢٥) وأبو داود فى الطلاق (٢٢٢٥) والترمذى فى الطلاق (١١٩٩) وقال: « حديث حسن غريب صحيح» والنسائى فى الظهار٦/ ١٦٧ وابن ماجة فى الطلاق (٢٠٦٥) والحاكم ٢/ ٢٠٤ والبيهقى ٧/ ٣٨٦.

وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة والطبرانى، والبغوى فى معجمه ، والحاكم وصححه عن سلمة بن صخر الأنصارى قال : كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيرى ، فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ، فرقا من أن أصيب منها فى ليلى فأتتابع فى ذلك ولا أستطيع أن أنزع حتى يدركنى الصبح ، فبينما هى تخدمنى ذات ليلة إذ انكشف لى منها شىء فوثبت عليها ، فلما أصبحت غدوت على قومى فأخبرتهم خبرى ، فقلت : انطلقوا معى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمرى ، فقالوا : والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا القرآن ، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال : فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبرى ، فقال : « أنت بذاك ؟ » قلت : أنا بذاك ، قال : « أنت بذاك ؟ » قلت أنا بذاك ، قال : « أنت بذاك ؟ » قلت : أنا بذاك وها أنا ذا فأمضى فى حكم الله فإنى صابر لذلك . قال : « أعتق رقبة » ، فضربت عنقى بيدى ، فقلت : لا والذى بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها ، قال : « فصم شهرين متتابعين » ، فقلت : هل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : « فأطعم ستين مسكينا » ، فقلت : والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا مالنا عشاء ، قال : « اذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق ، فقل له : فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ، ثم استعن بسائرها عليك وعلى عيالك » ، فرجعت إلى قومى فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة ، أمر لى بصدقتكم فادفعوها إلى ، فدفعوها إليه (١) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا

---

(١) عبد الرزاق (١١٥٢٨) وأحمد ٤/ ٣٧ وأبو داود فى الطلاق (٢٢١٣) والترمذى فى التفسير (٣٢٩٩) وقال : « هذا حديث حسن » وابن ماجة فى الطلاق (٢٠٦٢) والطبرانى (٢٨٦٣) صححه الحاكم ٢/ ٢٠٣ على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

بالإثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

قوله : ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله** ﴾ لما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ، ذكر المحادين ، والمحادة : المشاقة والمعاداة والمخالفة ، ومثله قوله :﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله ﴾ [المجادلة : ٢٠] . قال الزجاج: المحادة، أن تكون فى حد يخالف صاحبك ، وأصلها .الممانعة ، ومنه الحديد ، ومنه الحداد للبواب ﴿**كبتوا كما كبت الذين من قبلهم** ﴾ أى أذلوا وأخزوا ، يقال : كبت الله فلانا : إذا أذله ، والمردود بالذل يقال له : مكبوت . قال المقاتلان: أخزوا كما أخزى الذين من قبلهم من أهل الشرك ، وكذا قال قتادة ، وقال أبو عبيدة والأخفش : أهلكوا ، وقال ابن زيد : عذبوا ، وقال السدى : لعنوا . وقال الفراء : أغيظوا ، والمراد بمن قبلهم : كفار الأمم الماضية المعادين لرسل الله ، وعبر عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه . وقيل : المعنى : على المضى، وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر ، فإن الله كبتهم بالقتل والأسر والقهر ، وجملة : ﴿ **وقد** [٢] **أنزلنا آيات بينات** ﴾ فى محل نصب على الحال من الواو فى كبتوا ، أى والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسله من الأمم المتقدمة . وقيل : المراد : الفرائض التى أنزلها الله سبحانه . وقيل : هى المعجزات ﴿**وللكافرين عذاب مهين** ﴾ أى للكافرين بكل ما يجب الإيمان به ، فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولا أوليا ، والعذاب المهين : الذى يهين صاحبه ويذله ، ويذهب بعزه ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعا** ﴾ الظرف منتصب بإضمار اذكر ، أو بمهين ، أو بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بأحصاه المذكور بعده ، وانتصاب ﴿ **جميعا** ﴾ على الحال ، أى مجتمعين فى حالة واحدة، أو يبعثهم كلهم لا يبقى منهم أحد غير مبعوث ﴿ **فينبئهم بما عملوا** ﴾ أى يخبرهم بما عملوه فى الدنيا من الأعمال القبيحة ، توبيخا لهم وتبكيتا ولتكميل الحجة عليهم ، وجملة : ﴿**أحصاه الله ونسوه** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : كيف ينبئهم بذلك على كثرته واختلاف أنواعه ، فقيل : أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شىء ، والحال أنهم قد نسوه ولم يحفظوه ، بل وجدوه حاضرا مكتوبا فى صحائفهم ﴿ **والله على كل شىء شهيد** ﴾ لا يخفى عليه شىء من الأشياء ، بل هو مطلع وناظر .

ثم أكد سبحانه بيان كونه عالما بكل شىء فقال : ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ أى ألم تعلم أن علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شىء مما فيهما ، وجملة : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة** ﴾ إلخ مستأنفة لتقرير شمول علمه وإحاطته بكل المعلومات

---

(١) فى المطبوعة : « ولقد » .

قرأ الجمهور : ﴿ **يكون** ﴾ بالتحتية . وقرأ أبو جعفر بن القعقاع والأعرج وأبو حيوة بالفوقية ، و«كان » على القراءتين تامة ، و« من » مزيدة للتأكيد ، ونجوى فاعل كان ، والنجوى : السرار، يقال : قوم نجوى ، أى ذووا نجوى وهى مصدر . والمعنى : ما يوجد من تناجى ثلاثة أو من ذوى نجوى ، ويجوز أن تطلق على الأشخاص المتناجين ، فعلى الوجه الأول انخفاض ثلاثة بإضافة نجوى إليه، وعلى الوجهين الآخرين يكون انخفاضها على البدل من نجوى أو الصفة لها . قال الفراء : ثلاثة نعت للنجوى فانخفضت وإن شئت أضفت نجوى إليها ، ولو نصبت على إضمار فعل جاز ، وهى قراءة ابن أبى عبلة ، ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ﴿**إلا هو رابعهم** ﴾ هذه الجملة فى موضع نصب على الحال، وكذا قوله : ﴿ **إلا هو سادسهم**[1]﴾ ﴿ **إلا هو معهم** ﴾ أى ما يوجد شىء من هذه الأشياء إلا فى حال من هذه الأحوال، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ، ومعنى رابعهم : جاعلهم أربعة ، وكذا سادسهم: جاعلهم ستة من حيث أنه يشاركهم فى الاطلاع على تلك النجوى ﴿ **ولا خمسة** ﴾ أى ولا نجوى خمسة ، وتخصيص العددين بالذكر ؛ لأن أغلب عادات المتناجين أن يكونوا ثلاثة أو خمسة ، أو كانت الواقعة التى هى سبب النزول فى ستناجين كانوا ثلاثة فى موضع وخمسة فى موضع . قال الفراء : العدد غير مقصود؛ لأنه سبحانه مع كل عدد قل أو كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم** ﴾ أى ولا أقل من العدد المذكور كالواحد والاثنين ، ولا أكثر منه ، كالستة والسبعة إلا هو معهم يعلم ما يتناجون به لايخفى عليه منه شىء . قرأ الجمهور : ﴿ **ولا أكثر** ﴾ بالجر بالفتحة عطفا على لفظ نجوى . وقرأ الحسن والأعمش وابن أبى إسحاق وأبو حيوة ويعقوب وأبو العالية ونصر وعيسى بن عمر وسلام بالرفع عطفا على محل نجوى . وقرأ الجمهور : ﴿ **ولا أكثر** ﴾ بالمثلثة . وقرأ الزهرى وعكرمة بالموحدة. قال الواحدى : قال المفسرون : إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم ، فيحزنون لذلك ، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين ، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم ، فأنزل الله هذه الآيات ، ومعنى ﴿ **أينما كانوا** ﴾ إحاطة علمه بكل تناج يكون منهم فى أى مكان من الأمكنة ﴿ **ثم ينبئهم** ﴾ أى يخبرهم ﴿ **بما عملوا يوم القيامة** ﴾ توبيخا لهم وتبكيتا وإلزاما للحجة ﴿**إن الله بكل شىء عليم** ﴾ لا يخفى عليه شىء كائنا ما كان .

﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه** ﴾ هؤلاء الذين نهوا ، ثم عادوا لما نهوا عنه هم من تقدم ذكره من المنافقين واليهود . قال مقاتل : كان بين النبى ﷺ وبين اليهود مواعدة ، فإذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا ، فنهاهم الله فلم ينتهوا ، فنزلت . وقال ابن زيد : كان الرجل يأتى النبى ﷺ فيسأله الحاجة

(١) فى المطبوعة : « خامسهم » .

ويناجيه ، والأرض يومئذ حرب ، فيتوهمون أنه يناجيه فى حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك ﴿ **ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول** ﴾ قرأ الجمهور: ﴿ **يتناجون** ﴾ بوزن يتفاعلون ، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله فيما بعد : ﴿ **إذا تناجيتم فلا تتناجوا** ﴾ وقرأ حمزة وخلف ورويس عن يعقوب : « ويتجون » بوزن يفتعلون، وهى قراءة ابن مسعود وأصحابه ، وحكى سيبويه أن تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا ، ومعنى الإثم : ما هو إثم فى نفسه كالكذب والظلم، والعدوان : ما فيه عدوان على المؤمنين ، ومعصية الرسول : مخالفته ، قرأ الجمهور : ﴿ **ومعصية** ﴾ بالإفراد ، وقرأ الضحاك وحميد ومجاهد : « ومعصيات » بالجمع ﴿ **وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ قال القرطبى : إن المراد بها : اليهود كانوا يأتون النبى ﷺ فيقولون : السام عليك يريدون بذلك: السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا ، فيقول النبى ﷺ :« عليكم » . وفى رواية أخرى : « وعليكم »[1]. ﴿**ويقولون فى أنفسهم**﴾ أى فيما بينهم ﴿ **لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾ أى هلا يعذبنا بذلك ، ولو كان محمد نبيا لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به . وقيل : المعنى : لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول : وعليكم ووقع علينا الموت عند ذلك ﴿ **حسبهم جهنم** ﴾ عذابا ﴿ **يصلونها** ﴾ يدخلونها ﴿ **فبئس المصير** ﴾ أى المرجع ، وهو جهنم .

﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول** ﴾ لما فرغ سبحانه عن نهى اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهم أن لا يتناجوا بما فيه إثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون ، ثم بين لهم ما يتناجون به فى أنديتهم وخلواتهم فقال : ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوى** ﴾ أى بالطاعة وترك المعصية . وقيل : الخطاب للمنافقين ، والمعنى : يأيها الذين آمنوا ظاهرا أو بزعمهم ، واختار هذا الزجاج . وقيل: الخطاب لليهود ، والمعنى : يأيها الذين آمنوا بموسى ، والأول أولى ، ثم خوفهم سبحانه فقال : ﴿ **واتقوا الله الذى إليه تحشرون** ﴾ فيجزيكم بأعمالكم .ثم بين سبحانه أن ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجى هو من جهة الشيطان . فقال : ﴿ **إنما النجوى** ﴾ يعنى : بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿ **من الشيطان** ﴾ لا من غيره، أى من تزيينه وتسويله ﴿ **ليحزن الذين آمنوا** ﴾ أى لأجل أن يوقعهم فى الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها فى مكيدة يكادون بها ﴿ **وليس بضارهم شيئا** ﴾ أو وليس الشيطان أو التناجى الذى يزينه الشيطان بضار المؤمنين شيئا من الضرر ﴿**إلا بإذن الله**﴾ أى بمشيئته . وقيل: بعلمه ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ أى يكلون أمرهم إليه ويفوضونه فى جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى .

وقد أخرج أحمد وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه، والبيهقى فى

---

(١) القرطبى ٩/ ٦٤٦٢ .

الشعب ، قال السيوطى : بسند جيد ، عن ابن عمر : إن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : السام عليك ، يريدون بذلك شتمه، ثم يقولون فى أنفسهم: ﴿ **لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾ فنزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾ (١) . وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخارى ، والترمذى وصححه عن أنس أن يهوديا أتى النبى ﷺ وأصحابه فقال : السام عليكم ، فرد عليه القوم ، فقال النبى ﷺ : « هل تدرون ما قال هذا ؟ » . قالوا : الله أعلم، سلم يا نبى الله ، قال : « لا ، ولكنه قال كذا وكذا ، ردوه على » فردوه ، قال : «قلت: السام عليكم ؟ » قال : نعم ، قال النبى ﷺ عند ذلك : « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب ، فقولوا: عليك (٢)، ما قلت ». قال: ﴿ **وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾(٣). وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت : دخل على رسول الله ﷺ يهود ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم ، فقالت عائشة : عليكم السام واللعنة ، فقال :« يا عائشة ، إن الله لا يحب الفحش ولا المتفحش » ، قلت : ألا تسمعهم يقولون : السام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أو ما سمعتنى أقول : وعليكم » ، فأنزل الله : ﴿ **وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله** ﴾ (٤) . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى هذه الآية قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه : سام عليك ، فنزلت .

وأخرج ابن مردويه عنه قال : « كان النبى ﷺ إذا بعث سرية وأغزاها التقى المنافقون فأنغضوا رؤوسهم إلى المسلمين ويقولون : قتل القوم ، وإذا رأوا رسول الله ﷺ تناجوا وأظهروا الحزن ، فبلغ ذلك من النبى ﷺ ومن المسلمين ، فأنزل الله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول** ﴾ الآية. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يحزنه » (٥) . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى سعيد قال : كنا نتناوب رسول لله ﷺ يطرقه أمر ، أو يأمر بشىء فكثر أهل النوب والمحتسبون ليلة حتى إذا كنا أنداء (٦)

---

(١) أحمد ٢/ ٩ ومسلم فى السلام (٨/٢١٦٤ ، ٩) والبيهقى فى الشعب (٩١٠٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٢٤ ، ١٢٥ : « رواه أحمد والبزار والطبرانى وإسناده جيد ؛لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب فى حالة الصحة » .

(٢)فى المخطوطة: « فقولوا عليك قال عليك» وفى الدر المنثور ٦/ ١٨٤ بحذف: « قال عليك » وهو ما أثبتناه.

(٣) أحمد ٣/ ١٤٠ والبخارى فى الاستئذان (٦٢٥٨) وفى استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٦) والترمذى فى التفسير (٣٣٠١) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٤٤ : «قلت: لأنس حديث فى الصحيح غير هذا ، ورواه البزار، ورجاله رجال الصحيح » .

(٤) البخارى فى الاستئذان (٦٢٥٦) ومسلم فى الاستئذان (٢١٦٥/ ١٠ ، ١١) والنسائى فى التفسير (٥٩١) وابن ماجة فى الأدب (٦٣٩٨).

(٥) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠) ومسلم فى السلام (٢١٨٤/ ٣٧) والترمذى فى الأدب (٢٨٢٥) وقال : «هذا حديث حسن صحيح » وابن ماجة فى الأدب (٣٧٧٥) .

(٦) جمع النادى وهم القوم المجتمعون . لسان العرب ١٥/ ٣١٧ .

نتحدث ، فخرج علينا رسول الله ﷺ من الليل فقال : « ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ » قلنا : يا رسول الله ، إنا كنا فى ذكر المسيح فرقا منه ، فقال : « ألا أخبركم مما هو أخوف عليكم عندى منه ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال :« الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل بعمل لمكان رجل » . قال ابن كثير : هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء [١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ﴾

قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس** ﴾ يقال : فسح له يفسح فسحا، أى وسع له، ومنه قولهم : بلد فسيح . أمر الله سبحانه بحسن الأدب مع بعضهم بعضا بالتوسعة فى المجلس ، وعدم التضايق فيه . قال قتادة ومجاهد والضحاك : كانوا يتنافسون فى مجلس النبى ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض . وقال الحسن ويزيد بن أبى حبيب : هو مجلس القتال إذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض ، رغبة فى القتال لتحصيل الشهادة ﴿ **فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾ أى فوسعوا يوسع الله لكم فى الجنة ، أو فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما . قرأ الجمهور : ﴿ **تفسحوا فى المجلس** ﴾ وقرأ السلمى وزر بن حبيش وعاصم : ﴿ **فى المجالس**﴾ على الجمع ؛ لأن لكل واحد منهم مجلسا ، وقرأ قتادة والحسن وداود بن أبى هند وعيسى بن عمر : « تفاسحوا » قال الواحدى : والوجه التوحيد فى المجلس ، لأنه يعنى به مجلس النبى ﷺ . وقال القرطبى : الصحيح فى الآية أنها عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر ، سواء كان مجلس حرب ، أو ذكر ، أو يوم الجمعة ، وأن كل واحد أحق بمكانه الذى سبق إليه ، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه [٢] ، ويؤيد هذا حديث ابن عمر عند البخارى ومسلم وغيرهما عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»[٣] .

---

(١) ابن كثير ٦/ ٥٨١ . (٢) القرطبى ٩/ ٦٤٦٧ .

(٣) أحمد ٢/ ١٧ والبخارى فى الاستئذان (٦٢٧٠) ومسلم فى السلام (٢١٧٧/ ٢٧، ٢٨) والترمذى فى الأدب (٢٧٤٩) وقال : « حديث حسن صحيح » .

﴿ **وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ قرأ الجمهور بكسر الشين فيها ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضمها فيهما ، وهما لغتان بمعنى واحد ، يقال : نشز ، أى ارتفع ينشز وينشز كعكف يعكف ، والمعنى : إذا قيل لكم انهضوا فانهضوا . قال جمهور المفسرين : أى انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير ، وقال مجاهد والضحاك وعكرمة: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة ، فقيل لهم : إذا نودى للصلاة فانهضوا . وقال الحسن : انهضوا إلى الحرب ، وقال ابن زيد : هذا فى بيت النبى ﷺ كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبى ﷺ ، فقال الله تعالى : ﴿ **وإذا قيل انشزوا** ﴾ عن النبى ﷺ ﴿ **فانشزوا** ﴾ فإن له حوائج فلا تمكثوا . وقال قتادة : المعنى :أجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف ، والظاهر حمل الآية على العموم ، والمعنى : إذا قيل لكم انهضوا إلى أمر من الأمور الدينية فانهضوا ولا تتثاقلوا، ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصا ، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق ، ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجا أوليا ، وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسيح فى المجلس اندارجا أوليا ، وقد قدمنا أن معنى نشز : ارتفع ، وهذا يقال : نشز ينشز إذا تنحى عن موضعه ومنه امرأة ناشز، أى متنحية عن زوجها ، وأصله مأخوذ من النشز ، وهو ما ارتفع من الأرض وتنحى، ذكر معناه النحاس ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم**﴾ فى الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما ﴿**والذين أوتوا العلم درجات**﴾ أى ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية فى الكرامة فى الدنيا والثواب فى الآخرة، ومعنى الآية : أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات ، وقيل : المراد بالذين آمنوا من الصحابة، وكذلك الذين أوتوا العلم. وقيل: المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرؤوا القرآن، والأولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ، ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض ، وفى هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله، وقد دل على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية ﴿**والله بما تعملون خبير**﴾ لا يخفى عليه شىء من أعمالكم من خير وشر، فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا.

﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة** ﴾ المناجاة : المسارة، والمعنى : إذا أردتم مسارة الرسول فى أمر من أموركم فقدموا بين يدى مسارتكم له صدقة . قال الحسن : نزلت بسبب أن قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبى ﷺ يناجونه ، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم فى النجوى ، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى لتقطعهم عن استخلائه . وقال زيد بن أسلم : نزلت بسبب أن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبى ﷺ ويقولون : إنه أذن يسمع كل ما قيل له ، وكان لا يمنع أحدا من مناجاته ، وكان ذلك يشق على المسلمين ، لأن الشيطان كان يلقى فى أنفسهم أنهم ناجوه

بأن جموعا اجتمعت لقتاله ، فأنزل الله: ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول** ﴾ فلم ينتهوا، فأنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدى نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالآية التى بعد هذه ، والإشارة بقوله : ﴿**ذلك**﴾ إلى ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدى النجوى ، وهو مبتدأ وخبره: ﴿**خير لكم وأطهر**﴾ لما فيه من طاعة الله، وتقييد الأمر بكون امتثاله خيرا لهم من عدم الامتثال وأطهر لنفومهم يدل على أنه أمر ندب لا أمر وجوب ﴿**فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**﴾ يعنى من كان منهم لا يجد تلك الصدقة المأمور بها بين يدى النجوى، فلا حرج عليه فى النجوى بدون صدقة .

﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات** ﴾ أى أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك، والإشفاق : الخوف من المكروه ، والاستفهام للتقرير . وقيل : المعنى : أبخلتم ، وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين ، قال مقاتل بن حيان : إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ . وقال الكلبى : ما كان ذلك إلا ليلة واحدة ، وقال قتادة : ماكان إلا ساعة من النهار ﴿ **فإذ لم تفعلوا**﴾ ما أمرتم به من الصدقة بين يدى النجوى ، وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل ، وأما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله : ﴿ **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ ﴿**وتاب الله عليكم** ﴾ بأن رخص لكم فى الترك . و« إذ » على بابها فى الدلالة على المضى . وقيل : هى بمعنى إذا . وقيل : بمعنى إن ، وتاب معطوف على لم تفعلوا، أى وإذا لم تفعلوا وإذ تاب عليكم ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ والمعنى : إذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الأمر بتقديم الصدقة بين يدى النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه ﴿**والله خبير بما تعملون** ﴾ لا يخفى عليه من ذلك شىء فهو مجازيكم ، وليس فى الآية ما يدل على تقصير المؤمنين فى امتثال هذا الأمر ، أما الفقراء منهم فالأمر واضح، وأما من عداهم من المؤمنين فإنهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة ، بل أمروا بالصدقة إذا أرادوا المناجاة ، فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا فى امتثال الأمر بالصدقة ، على أن فى الآية ما يدل على أن الأمر للندب كما قدمنا ، وقد استدل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل إمكان الفعل ، وليس هذا الاستدلال بصحيح ، فإن النسخ لم يقع إلا بعد إمكان الفعل ، وأيضا قد فعل ذلك البعض ، فتصدق بين يدى نجواه كما سيأتى .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان قال : أنزلت هذه الآية : ﴿ **إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس** ﴾ يوم جمعة ورسول الله ﷺ يومئذ فى الصفة ، وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فرد النبى ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع

لهم، فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام ، فلم يفسح لهم ، فشق ذلك عليه ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر : « قم يا فلان وأنت يا فلان » ، فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه ، فنزلت هذه الآية[١] . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى الآية قال : ذلك فى مجلس القتال ﴿ **وإذا قيل انشزوا** ﴾ قال : إلى الخير والصلاة . وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى المدخل عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ قال يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا درجات . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى تفسير هذه الآية قال : يرفع الله الذين آمنوا منكم وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات . وأخرج ابن المنذر عنه قال : ما خص الله العلماء فى شىء من القرآن ما خصهم فى هذه الآية ، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إذا ناجيتم الرسول** ﴾ الآية . قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ، فلما قال ذلك امتنع [٢] كثير من الناس وكفوا عن المسألة . فأنزل الله بعد هذا : ﴿ **أأشفقتم** ﴾ الآية ، فوسع الله عليهم ولم يضيق . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والنحاس وابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : « لما نزلت : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة** ﴾ قال لى النبى ﷺ : ما ترى ، دينار ؟ » قلت : لا يطيقونه . قال : « فنصف دينار؟» قلت : لا يطيقونه ، قال : « فكم ؟ » قلت : شعيرة ، قال : « إنك لزهيد » ، قال : فنزلت: ﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات** ﴾ الآية ، فبى خفف الله عن هذه الأمة ، والمراد بالشعيرة هنا : وزن شعيرة من ذهب ، وليس المراد : واحدة من حب الشعير[٣] . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه قال : ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت ، وما كانت إلا ساعة ، يعنى: آية النجوى . وأخرج سعيد ابن منصور وابن راهويه وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عنه أيضا قال : إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى آية النجوى ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة**﴾ كان عندى دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكنت كلما ناجيت رسول الله ﷺ قدمت بين

---

(١) القرطبى ٩/ ٦٤٦٦ .

(٢) فى المخطوطة : « ظن » والصحيح : « امتنع » كما فى الدر المنثور ٦/ ١٨٥ ليستقيم المعنى .

(٣) ابن أبى شيبة فى الفضائل (١٢١٧٥) والترمذى فى التفسير (٣٣٠٠) وقال : « هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه » وأبو يعلى (٤٠٠) وابن جرير ١٥/ ٢٨ .

يدى نجواى درهما ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ، فنزلت : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات** ﴾ الآية [١] . وأخرج الطبرانى وابن مردويه ، قال السيوطى : بسند ضعيف ، عن سعد بن أبى وقاص قال : نزلت ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة**﴾ فقدمت شعيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « إنك لزهيد » ، فنزلت الآية الأخرى : ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات**﴾[٢] .

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)** ﴾

قوله : ﴿ **ألم تر إلى الذين تولوا قوما** ﴾ أى والوهم . قال قتادة : هم المنافقون تولوا اليهود. وقال السدى ومقاتل : هم اليهود تولوا المنافقين ، ويدل على الأول قوله : ﴿ **غضب الله عليهم** ﴾ فإن المغضوب عليهم هم اليهود ، ويدل على الثانى قوله : ﴿ **ما هم منكم ولا منهم**﴾ فإن هذه صفة المنافقين ، كما قال الله فيهم : ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ [النساء : ١٤٣] وجملة : ﴿ **ما هم منكم ولا منهم** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أو هى مستأنفة ﴿**ويحلفون على الكذب** ﴾ أى يحلفون أنهم مسلمون ، أو يحلفون أنهم ما

---

(١) ابن أبى شيبة (١٢١٧٤) وصححه الحاكم ٢/ ٤٨٢ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٢٥ : « رواه الطبرانى فى حديث طويل وفيه سلمة بن الفضل الأبرش وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخارى وغيره ».

(٢) الطبرانى ١/ ١٤٧ .

نقلوا الأخبار إلى اليهود ، والجملة عطف على تولوا داخلة فى حكم التعجيب من فعلهم ، وجملة : ﴿**وهم يعلمون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى والحال أنهم يعلمون بطلان ما حلفوا عليه ، وأنه كذب لا حقيقة له . ﴿ **أعد الله لهم عذابا شديدا** ﴾ بسبب هذا التولى والحلف على الباطل ﴿ **إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ من الأعمال القبيحة ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة**﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **أيمانهم** ﴾ بفتح الهمزة جمع يمين ، وهى ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين توقيا من القتل ، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من أن يصاب بسيف أو رمح أو سهم . وقرأ الحسن وأبو العالية : « إيمانهم» بكسر الهمزة ، أى جعلوها تصديقهم جنة من القتل ، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم ﴿**فصدوا عن سبيل الله** ﴾ أى منعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط وتهوين أمر المسلمين وتضعيف شوكتهم . وقيل : المعنى : فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب إظهارهم للإسلام ﴿ **فلهم عذاب مهين** ﴾ أى يهينهم ويخزيهم ، قيل : هو تكرير لقوله : ﴿ **أعد الله لهم عذابا شديدا** ﴾ للتأكيد ، وقيل : الأول عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة ، ولا وجه للقول بالتكرر ، فإن العذاب الموصوف بالشدة غير العذاب الموصوف بالإهانة .

﴿ **لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا** ﴾ أى لن تغنى عنهم من عذابه شيئا من الإغناء . قال مقاتل : قال المنافقون : إن محمدًا يزعم أنه ينصر يوم القيامة لقد شقينا إذن فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة فنزلت الآية ﴿ **أولئك** ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ **أصحاب النار** ﴾ لا يغارقونها ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾ لا يخرجون منها ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعا** ﴾ الظرف منصوب بقوله : ﴿ **مهين** ﴾ أو بمقدر ، أى اذكر ﴿ **فيحلفون له كما يحلفون لكم** ﴾ أى يحلفون لله يوم القيامة على الكذب كما يحلفون لكم فى الدنيا ، وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم ، فإن يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة ، فكيف يجترئون على أن يكذبوا فى ذلك الموقف ويحلفون على الكذب ﴿**ويحسبون أنهم على شىء** ﴾ أى يحسبون فى الآخرة أنهم بتلك الأيمان الكاذبة على شىء مما يجلب نفعا ، أو يدفع ضررا كما كانوا يحسبون ذلك فى الدنيا ﴿ **ألا إنهم هم الكاذبون** ﴾ أى الكاملون فى الكذب المتهالكون عليه البالغون فيه إلى حد لم يبلغ غيرهم إليه بإقدامهم عليه وعلى الأيمان الفاجرة فى موقف القيامة بين يدى الرحمن.

﴿ **استحوذ عليهم الشيطان** ﴾ أى غلب عليهم واستعلى واستولى ، قال المبرد : استحوذ على الشىء :حواه وأحاط به . وقيل : قوى عليهم وقيل : جمعهم ، يقال : أحوذ الشىء ، أى جمعه وضم بعضه إلى بعض ، والمعانى متقاربة لأنه إذا جمعهم فقد قوى عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم ﴿ **فأنساهم ذكر الله** ﴾ أى أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئا من ذلك . وقيل : زواجره فى النهى عن معاصيه . وقيل : لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم ، والإشارة بقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات ، وهو

مبتدأ وخبره ﴿ **حزب الشيطان** ﴾ أى جنوده وأتباعه ورهطه ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ أى الكاملون فى الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة ، وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الأيمان الفاجرة فى الدنيا والآخرة ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله**﴾ تقدم معنى المحادة لله ولرسوله فى أول هذه السورة ، والجملة تعليل لما قبلها ﴿**أولئك فى الأذلين** ﴾ أى أولئك المحادون لله ورسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من أذله الله من الأمم السابقة واللاحقة ، لأنهم لما حادوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان ، قال عطاء : يريد الذل فى الدنيا والخزى فى الآخرة .

﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى** ﴾ الجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها مع كونهم فى الأذلين ، أى كتب فى اللوح المحفوظ، وقضى فى سابق علمه : لأغلبن أنا ورسلى بالحجة والسيف . قال الزجاج : معنى غلبة الرسل على نوعين : من بعث منهم بالحرب فهو غالب فى الحرب ، ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة ، قال الفراء : كتب بمعنى قال ، وقوله : ﴿**أنا** ﴾ توكيد ، ثم ذكر مثل قول الزجاج :﴿ **إن الله قوى عزيز** ﴾ فهو قوى على نصر أوليائه غالب لأعدائه لا يغلبه أحد . ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ الخطاب لرسوله الله ﷺ ، أو لكل من يصلح له ، أى يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما، وجملة : ﴿ **يوادون** ﴾ فى محل نصب على أنها المفعول الثانى لتجد إن كان متعديا إلى مفعولين ، أو فى محل نصب على الحال إن كان متعديا إلى مفعول واحد ، أو صفة أخرى لـ ﴿**قوما**﴾ أى جامعون بين الإيمان والموادة لمن حاد الله ورسوله ﴿ **ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ أى ولو كان المحادون لله ورسوله آباء الموادين إلخ ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه ، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة ﴿**أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان** ﴾ يعنى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ، ومعنى ﴿**كتب فى قلوبهم الإيمان**﴾ : خلقه . وقيل : أثبته . وقيل : جعله . وقيل : جمعه ، والمعانى متقاربة ﴿**وأيدهم بروح منه**﴾ أى قواهم بنصر منه على عدوهم فى الدنيا ، وسمى نصره لهم روحا ؛ لأن به يحيا أمرهم . وقيل : هو نور القلب . وقال الربيع بن أنس : بالقرآن والحجة . وقيل : بجبريل . وقيل : بالإيمان . وقيل : برحمة . قرأ الجمهور : ﴿**كتب** ﴾ مبنيا للفاعل ، ونصب الإيمان على المفعولية ، وقرأ زر بن حبيش والمفضل عن عاصم على البناء للمفعول ورفع الإيمان على النيابة ، وقرأ زر بن حبيش : « عشيراتهم » بالجمع ، ورويت هذه القراءة عن عاصم ﴿**ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ على الأبد ﴿ **رضى الله عنهم** ﴾ أى قبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة ﴿**ورضوا عنه** ﴾ أى فرحوا بما أعطاهم عاجلا وآجلا ﴿ **أولئك حزب الله** ﴾ أى جنده الذين يمتثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أولياءه ، وفى إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم عظيم وتكريم فخيم ﴿ **ألا**

إن حزب الله هم المفلحون ﴾ أى الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة ، الكاملون فى الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل ، حتى كان فلاح غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم كلا فلاح .

وقد أخرج أحمد والبزار وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين . فقال : « إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين شيطان ، فإن جاءكم فلا تكلموه » ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق ، فقال حين رآه : « علام تشتمنى أنت وأصحابك ؟ » فقال : ذرنى آتك بهم ، فحلفوا واعتذروا فأنزل الله : ﴿**يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم** ﴾ الآية والتى بعدها [1] . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى سننه عن عبد الله بن شوذب قال : جعل والد أبى عبيدة بن الجراح يتقصد لأبى عبيدة يوم بدر ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله ، فنزلت : ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله** ﴾ الآية [2] .

---

(١) أحمد ١/ ٣٥٠ وصححه الحاكم ٢/ ٤٨٢ على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٥/ ٢٨٢ .
(٢) الحاكم ٣/ ٢٦٤ وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٠١ والبيهقى فى السير ٩/ ٢٧ .